

المحاضرة الأولى / مادة دراسات في النقد الأدبي القديم

إعداد : أ . م . د . مرتضى عبد النبي الشاوي

عنوان المحاضرة ( مدخل في طبيعة المصطلح بشكل عام والمصطلح  
النقدي بشكل خاص )

حد المصطلح لغة واصلاحاً :

المصطلح لغة تعني الاتفاق والاجتماع وجزره الثلاثي ( صلح ) والصلاح  
ضد الفساد ويعني الخير والاستقامة :

والصلح : السلم حيث يزول الخصام بين المتخاصمين والصلح يعني  
الاحسان نقول : أصلح الدابة أي أحسن إليها ، والصلح يعني أيضا :  
صلاحية الشيء أنه نافع ومنساب .

ويعرف المصطلح : بأنه أداة من أدوات التفكير ووسيلة من وسائل التقدم  
العلمي والأدبي وهو لغة مشتركة بها يتم التفاهم والتواصل بين الناس  
عامة أو على الأقل بين طبقة وفئة خاصة في مجال محدد من مجالات  
المعرفة والحياة .

وهو أيضاً أداة من أدوات التفكير العلمي ووسيلة من وسائل التقدم العلمي  
والأدبي وهو قبل ذلك لغة مشتركة بها يتم التفاهم والتواصل بين الناس  
عامة .

عرّف الكفوي في كتابه الكليات المصطلح : ( اتفاق القوم على وضع  
الشيء ، وقيل هو اخرج الشيء عن المعنى اللغوي إلى معنى آخر لبيان  
المراد ) .

عرف الجرجاني صاحب كتاب التعريفات : ( الاصطلاح عبارة عن اتفاق  
قوم على تسمية شيء باسم ما ينقل موضوعه واخرج اللفظ من معنى  
لغوي إلى آخر لمناسبة بينهما ) .

وجاء في لسان العرب لابن منظور أيضا عن الاصطلاح ( اتفاق طائفة  
على أمر مخصوص ) .

وجاء في تاج العروس للزبيدي عنه ( اتفاق طائفة مخصوصة على شيء مخصوص ولكل علم اصطلاحاته ) .

وغيرهم اتفقوا في الرؤية والمعنى عن معنى المصطلح والاصطلاح .

فهناك علاقة بين المعنى اللغوي والمعنى الاصطلاحي للكلمة على الرغم من الاختلاف عند البعض بان المعنى اللغوي عام والمعنى الاصطلاحي خص .

وما نقصده هنا ( المصطلح النقدي ) الذي يشمل مصطلحات علوم عديدة كالنقد والبلاغة والأدب والعروض والقافية

وهذا ينطبق على المصطلح النقدي كغيره من مصطلحات العلوم الأخرى .

فالمصطلح النقدي شأنه شأن المصطلحات الأخرى يبقى بأصله اللغوي فليس من الضرورة أن يقطع الألفاظ عن معانيها الأولية .

فالمصطلح لا بد له من رابط بعد نقله من موضوع الى آخر يربط بينه وبين اللغة الأصلية وذلك عن طريق المشاركة أو المشابهة .

وقد نبه الدارسون إلى شروط في المصطلح من أهمها :

١- أن يتفق العلماء عليه لدلالة على معنى من المعاني العلمية .

٢- أن تختلف دلالاته الجديدة على دلالاته اللغوية الأولى مع وجود مناسبة أو مشتركة أو مشابهة تبقى تربط بين مدلوله ومدلوله .

٣- أن يكتفي بلفظة واحدة للدلالة على معنى علمي واحد .

للمصطلح أهمية كونه لفظا يطلق على معنى معين من قبل مجموعة اتفقت على استعماله ولأنه وسيلة من وسائل نشر الثقافة وتسهيل المعرفة وكذلك كونه أداة من أدوات توحيد الفكر عند الأمة الواحدة .

فالأهمية تكمن في فكرة المصطلح التي تنشأ أصلا لتكون في خدمة الحياة والفكر معا وتطور العلم والمعرفة وكذلك المصطلح هو الاقدر على لملمة

المفاهيم المشتتة في الذهن ونقلها من مجرد أفكار ذهنية إلى معنى دلالي واضح .

وقد تنبه العرب الى أهمية المصطلح واعدوا معرفة الاصطلاحات اللغوية والدينية فضيلة وضرورة من ضرورات العلم بكتاب الله القرآن الحكيم .  
ولخص احمد مطلوب في كتابه معجم النقد العربي القديم طرق العرب القدماء في وضعهم للمصطلح واهتمامهم به بوسائل عدة منها :

١- اختراع اسماء لم تكن معروفة

٢- اطلاق الالفاظ القديمة للدلالة على المعاني الجديدة على سبيل التشويه والمجاز

٣- التعريب وهو نقل الالفاظ الاجنبية الى العربية بإحدى الوسائل عن النحاة واللغويين ودعا الى أن يكون التعامل بالتعريب بحذر وأن لا ينبغي الاخذ به الا عند الضرورة القصوى خشية ضياع اللغة العربية في غمرة الدخيل والقضاء على فاعليتها .

في العصر الحديث زاد الاهتمام بالمصطلح بسبب اتساع الحياة العلمية وطبيعة الحضارة المعاصرة المتعددة وكانت العناية تسير في اتجاهين :

١- اتجاه فردي يقوم على تأليف الكتب ونشر الابحاث التي تنشر هذا العلم وتوضيح وسائل البحث فيه وشروط نقله الى اللغة العربية .

٢- اتجاه جامعي يتمثل بإنشاء الجامعات اللغوية الرسمية في بعض الدول التي قام بعضها على شؤونه والوقوف على متطلبات البحث فيه والعمل على نشره .

لكل قوم ألفاظ ولكل صناعة ألفاظ كم يقول الجاحظ .

فالسؤال المطروح هل نشأ المصطلح النقدي والبلاغي عربيا ؟

لا شك أن المصطلح النقدي والبلاغي نشأ عربيا وما أن بدأ الاتصال الفعلي بترات الامم والشعوب كالفرس واليونان والهند والرومان اذ

تسربت بعض المصطلحات الفكرية والفلسفية الى النقد العربي والادب العربي عامة وهذا التأثير والتأثير هو دليل صحة تفاعل خلاق وقد أفاد النقد الادبي من هذا التلاقح الفكري وقد شرعوا العلماء والنقاد والمفكرون العرب في وضع اصطلاحات نقدية وبلاغية .

عند تتبع المصطلح النقدي والمصطلح البلاغي يطرح سؤال أيهما أسبق المصطلح النقدي أم المصطلح البلاغي

خلال عصور الادب المختلفة لم يكن هناك فصل بين النقد والبلاغة فقد ظلا القواعد البلاغية مختلطة بمسائل النقد حتى القرن الرابع الهجري الى ان جاء ابو هلال العسكري اذ فصل بين الفنين وأولى البلاغة عناية كبيرة فكان كتاب الصناعتين نقطة تحول النقد الى البلاغة

وهذا يدل على كونهما فنان وتجاوزا او هما علمان يكمل أحدهما الآخر فكانت البلاغة عبر قرون طويلة رافدا من الروافد التي غذت النقد بمصطلحات جديدة ومفاهيم متطورة وساعدت على كشف خصائص النص وكان النقد عاملا من عوامل توسيع مباحث البلاغة وتطوير مناهجها .

فالفصل بين النقد والبلاغة امر فيه شك وارتياب وتعسف .

نشأ المصطلح النقدي والبلاغي نشأة نشأ فطرية متواضعة على شكل ملاحظات متفرقة .

فالنقد منذ لعصر الجاهلي لم يعرفوه مصطلحا ولكن عرفوه مفهوما وممارسة جاءت على شكل مفاضلات أو مقارنات شعرية كما في مفاضلة النابغة الذبياني بين الشعراء في سوق عكاظ وغيرها .

ثم خذ النقد يستمد مصطلحاته من مختلف ميادين المعرفة من علم أو فن أو فلسفة في الحكم والتوضيح والتحليل

كان للبيئة أثر واضح في الفترات الأولى من حياة النقد الأدبي وتحديدًا في العصر الجاهلي فكانت المصطلحات منتزعة من البيئة مستوحاة من المجتمع ومعبرة عن الذوق السائد .

فمثلًا مصطلحات الاصمعي في كتابه الفحولة فمثلًا الفحولة من الفعل من الجمال في تصور الشاعرية ومصطلحات الخليل بن أحمد في علم العروض مثلًا مصطلح البيت والعمود من بيت الشعر في الصحراء وهكذا فالمصطلح في النقد والبلاغة نابع من بيئته والاجواء التي نما فيها .

وحين انتشر الدين الإسلامي كان القرآن الكريم والحديث النبوي هما الخلفية الأدبية لجميع ممارسات المسلمين من شعر ونثر .

جاءت محاولات البحث النقدي والبلاغي لخدمة القرآن وكشفا عن جوانب الإعجاز فضلًا عن المصطلحات الشرعية والنحوية وغيرها .

شكل القرنين الأول والثاني إرهابًا ومخاضًا انتهى بحلول القرن الثالث الذي شهد الميلاد الحقيقي للمصطلح النقدي والبلاغي وانطلاقة التأليف .

المصطلح اللغوي والأدبي بدأ يشيع في القرن الثاني مع الخليل بن أحمد الفراهيدي وتلاميذه الذين رحلوا إلى البادية ليأخذوا اللغة من أصولها من أعراب البادية لفصاحة أسنتهم وبعد لهجتهم عن التأثر باللغات الأعجمية وعزلتهم وقلة احتكاكهم بغيرهم .

ويرى بعض النقاد أن معاني القرآن للفراء ومجاز القرآن لأبي عبيدة يعدان المرحلة الأولى لظهور المصطلح البلاغي في الدراسات القرآنية وبصورة أولية قد استفاد النقاد منها في المرحلة التالية في القرن الثالث .

يعد الجاحظ من أوائل الذين التفتوا إلى المصطلحات في كتابيه البيان والتبيين والحيوان وطرح مصطلحات نقدية وبلاغية كثيرة استفاد منه الدرس النقدي والبلاغي في عصره ومن بعده .

جاء ابن المعتز بكتابه البديع خطوة اصطلاحية متقدمة أضافها إلى جهود السابقين

وبمجيء القرن الرابع الهجري شهدت المصطلحات النقدية والبلاغية تطورا ملحوظا كما ونوعا ظهر نقد أثروا في مسيرة النقد والبلغة العربية امثال ابن طباطبا في كتابه عيار الشعر .

وكذلك الرماني في كتابه اعجاز القرآن الكريم والباقلاني في كتابه اعجاز القرآن

وكتاب الموازنة للأمدي والحاتمي في كتبه حلية المحاضرة والرسالة الحاتمية والرسالة الموضحة والقاضي الجرجاني في كتابه الوساطة زين وكيع في كتابه المنصف .

ثم مجيء القرن الخامس الهجري وبدأت جهود بارزة في تأصيل المصطلح النقدي والبلاغي وتطوره عند ابن رشيق القيرواني في كتابه العمدة وابن سنان في كتابه سر الفصاحة وعبد القاهر الجرجاني في كتابه اسرار البلاغة ودلائل الاعجاز .

وكذلك في القرن السادس عند اسمة بن منقذ في كتابه البديع

وفي القرن السابع تمثل عند السكاكي في كتابه مفتاح العلوم وفترة كتب التلخيص عند ابن الاثير الجزري وابن ابي الاصبع والخطيب القزويني .

نستشف عن تاريخ المصطلح النقدي والبلاغي ان مر بطورين أو مرحلتين :

١- كان يجري التركيز على عملية تكديس المصطلح النقدي عن طريق النقل والترجمة والوضع

٢- يتسم بدخول الناقد العربي ميدان المصطلح الأدبي مترجما أو مطبقا لمناهج نقدية حديثة .

كان للعرب وسائل متعددة لوضع المصطلح يمكن اختصارها :

١- اختراع اسماء لم تكن معروفة في مجال علم الكلام وعلم العروض والحساب

٢- اطلاق الالفاظ القديمة للدلالة على المعاني الجديدة مثل التشبيه والمجاز في علم البلاغة العربية

٣- التعريب وهو نقل الالفاظ الاجنبية الى العربية باحدى وسائل النقل عند النحاة واللغويين كما هو حاصل علم الفلسفة وعلم المنطق

٤- نقل بعض المصطلحات من علم الى آخر مثلا نقل مصطلحات علوم القرآن الى البلاغة والنقد التفسير والنسخ ونقل المصطلحات اللغوية البلاغة والنقد كالاستثناء والاعتراض والالتفات .

السؤال المطروح هل استطاع العلماء العرب ان يلتزموا بالمعايير المطلوبة لانتاج المصطلح ؟

الجواب : لا كان للعرب الحرية في وضع المصطلح وادت هذه الحرية الى :

١- تعدد المصطلح للدلالة على شيء واحد مثلا ( الالتفات ) سمّاه المبرد (البدل) وسمّاه ابن وهب ( الصرف )

٢- اطلاق مصطلح واحد للدلالة على عدة مفاهيم مثل مصطلح التضمين يطلق على مفاهيم مختلفة .

٣- اختلاف دلالة المصطلح فقد ذهب قدامة الى ان ( الطباق ) هو ما يشترك في لفظة واحدة بعينها وهذا هو ( التجنيس ) عند الآخرين .

ومن المؤلفات في المصطلح النقدي :

١- قدامة بن جعفر والنقد الأدبي - بدوي طبانة

٢- مفاهيم الجمالية والنقد في أدب الجاحظ - ميشال عاصي

٣- مصطلحات بلاغية - احمد مطلوب

٤- مصطلحات نقدية وبلاغية في كتاب الجاحظ البيان والتبيين - الشاهد

البوشخي

- ٥- مفردات البلاغة والنقد عند قدامة – أحميدة النيفر
- ٦- المصطلح النقدي في نقد الشعر لقدامة – ادريس الناقوري
- ٧- المصطلح النقدي في التراث الادبي العربي- محمد عزام
- ٩- المصطلح النقدي في كتاب العمدة لابن رشيق – د ابراهيم محمد محمود  
الحمداني